التمرد والشعور بالذات في شعر اجود مجبل

أ.د. هيثم عباس سالم haithamalsowaily@utq.edu.iq

الباحثة: سمارة فيصل حاتم

username :art22gs1@utq.edu.iq

جامعة ذي قار/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

الملخص:

يهدف هذا البحث الى دراسة التمرد والشعور بالذات لا سيما بعد أن بدأ التمرد بالاتساع والازدهار في الآونة الأخيرة إذ ظهرت له انواع مختلفة ومنها تمرد الذات أو التمرد على الذات، وهذا النوع من التمرد يصل اليه الشاعر حين يدرك ان الظروف القاسية قد طمست هويته وامتهنت كرامته وأصبح كالغثاء لاقيمة له بالرغم من وجوده.. فمن يتتبع شعر الشاعر اجود مجبل يجده زاخرا بنصوص التمرد ، . ولو تكلمنا بتفاصيل أكثر لنجد ان تمرد الذات هو من أكثر الأنواع الأخرى المأ وحرمانا واستنزافا لحيز الشاعر نفسه وهذا ما يحاول البحث دراسته.

الكلمات المفتاحية: (التمرد، الشعور بالذات، الفرد).

Rebellion and sense of self in the poetry of Ajwad Mujbil

Dr. Haitham Abbas Salem haithamalsowaily@utq.edu.iq

Researcher: Samara Faisal Hatem

art22gs1@utq.edu.iq

Dhi Qar University/ College of Arts/ Department of Arabic Language

Abstract:

There is no doubt that rebellion has begun to expand and flourish recently, to the point that different types have appeared, including self-rebellion or rebellion against oneself. This type of rebellion the poet reaches when he realizes that the harsh circumstances have obliterated his identity, humiliated his dignity, and he has become like rubbish, worthless despite his existence... If we spoke in more detail, we would find that self-

rebellion is one of the most painful, depriving, and draining types of the poet's own space.

Keywords: (rebellion, self, individual, feelings).

التمرد والشعور بالذات:

لا شك أن التمرد بدأ بالاتساع والازدهار في الآونة الأخيرة، إذ ظهرت له انواع مختلفة ومنها تمرد الذات أو التمرد على الذات، وهذا النوع من التمرد يصل اليه الشاعر حين يدرك ان الظروف القاسية قد طمست هويته وامتهنت كرامته وأصبح كالغثاء لاقيمة له بالرغم من وجوده... ولو تكلمنا بتفاصيل أكثر لنجد ان تمرد الذات هو من أكثر الأنواع الأخرى ألما وحرمانا واستنزافا لحيز الشاعر نفسه.

ويعد مفهوم الذات من أهم المفاهيم الأنسانية والنفسية وأعمقها في حياة الإنسان والمجتمعات البشرية قاطبة، وإن أي خلل أو نقص يصيب هذا المفهوم أو يعتريه قد يؤدي به لتوجهه نحو المسار غير الصحيح، وإن الإنهيار الكلي أو الجزئي في قناعات الإنسان قد تؤدي به إلى الرفض التام لذاته الشخصية، أما من المنظور النفسي والسيكولوجي فقد تغيرت معانيه إذ أطلقت عليه مصطلحات جديدة كالأنا، والذات، ومفهوم الذات، فهو مفهوم شعوري ونفسي يعيه الفرد وقد يشكل أهمية بارزة لهذا الفرد، إذ يضعه في بداية الطريق في فهم ذاته والتعرف عليها ومن ثم فهم وإدراك الآخرين[١].

وتعد لفظة الذات من الألفاظ الشائعة المتداولة بشكل واسع في اللغة العربية بصورة خاصة وفي العلوم المختلفة بصورة عامة، فهي لفظة متعددة الأوجه والجوانب، لكونها تدخل في مختلف العلوم وفي ميادين الحياة وإن شخصية الفرد تكون دائما حاضرة في تجمع إنساني، لذلك تعد الذات لغة القيم، العادات، والطموحات، وألاهداف، وكل هذا لا يتم إلا في حقل التجمع الإنساني على مختلف تشكلاته، فالذات عمل وسلوك، والعمل والسلوك مرتبطان بالآخرين[٢].

ويطلق مصطلح الذات على البناء الخاص للفرد وانماطه وسلوكه وطريقته في التعايش مع بيئته والآخرين وهو وصف لشخصية الفرد وقدراته وأفعاله العاطفية وجميع القيم التي توجه سلوكه النفسي [٣]، وإن مفهوم الذات هو ((تكوين معرفي مركب من عدد من الحالات النفسية والأنطباعات والمشاعر

وتشمل إدراك الجانب الجسمي وكل ماهو محسوس وكذلك سماته ودوره وإمكاناته وهو ما ولد الشعور بكينونة الفرد))[٤].

وقد تحدث العديد من العلماء عن مفهوم الذات، وحاولوا من خلال العديد من النظريات والآراء التي طرحوها وقدموها رصد مفهوم الذات على أنه النواة التي تقوم عليها الشخصية كوحدة مركزية ديناميكية، وإنها المعنى المجرد لإدراكنا لأنفسنا جسميا، وعقليا، وإجتماعيا في ضوء علاقتنا مع الآخرين، إذ تنعكس إجرائيا في وصف الفرد لذاته كما يتخيلها هو، وإن مفهوم الذات ثابت إلى حد ما يمكن تعديله، بالإضافة إلى أنه متعلم من خلال الخبرات اليومية التي يعيشها الفرد إذ أنه يتضمن وجهه نظر الشخص حول نفسه سواء كان موجبا أم سالبا[٥]، وإن العديد من الباحثين الغرب وعلى رأسهم روجرس أجمعوا على أن مفهوم الذات هو ذلك الكل التصوري المنظم والمتناسب الذي يعبر عن المدركات الشعورية للفرد والتقييمات الخاصة لذاته من خلال إدراك الشخص لخصائص ذاته وعلاقته مع الآخرين، فهو المسؤول الأوحد عن القلق النفسي[٦].

وإن ثمة علاقة قوية بين تقدير الذات والثقة بالنفس للحصول على تحقيق الذات وتطويرها، وتكون العلاقة بينهما طردية، فكلما يزداد شعور الإنسان بالإنجاز تزداد ثقته بذاته، فالثقة تجعل الإنسان يركز على نقاط قوته، وقد ولدت تلك الإنجازات لدى الإنسان دافعية للمثابرة وفعل أشياء جديدة وبذل مجهود أكبر ومن ثم عززت لديه مهارة الثقة بالنفس [٧]

وهناك العديد من الشعراء الذين تمردوا على ذواتهم فمثلا في العصر العباسي نجد المتنبي يتمرد على ذاته، وفي العصر الحديث أخذت الذات عند السياب تبحث عن أسباب ودوافع نفسية لمعنى الحياة في صورة الانتماء الذي سيمكنها من التكيف مع الظروف الإجتماعية والسياسية، وإن إصطباغ شاعرية السياب بالصبغة الفردية هي السبب الرئيس لعرقلة نموها النفسي، فالذات الشاعرة هي محور العملية النقدية في النقد الأدبي الحديث لكونها المصدر الأساس للكتابة الشعرية، وإن العمل الأدبي هو مرآة الذات وتمثيلا لها وتصويرا لإنفعالاتها [٨].

ويستعمل مفهوم الذات بصورة عامة لكي يشير إلى كيفية تفكير الفرد حول تقييم نفسه وإدراكها، لذا نلحظ بأن مفهوم الذات يعد جزءا مهما من دراسات علم النفس الأجتماعي والإنساني التطوري، لكونه يشكل البناء الأساس الذي يرى الإنسان فيه نفسه عند تفاعله مع الآخرين ونظرته تجاه ذاته الشخصية بعده شخصا منعزلا عن ذاته وفريدا نوعا ما(٩).

وقد أتخذ التفاعل بين النص الشعري عند الشاعر أجود مجبل والتمرد النفسي أشكالا مختلفة، يحتل فيها التمرد الذاتي بصوره ومعانيه مساحة واسعة في دووين الشاعر، من هذه القصائد (وطن للغيم والذكرى) التي يقول فيها :

لم أدخر
غير طعم الريح والماء
أنا المقيم على حلم
أنا الرائي
وحدي أصطحبت دمي نحو اكتهالته
والوقت كان بقربي
محض أشلاء
بي حزن عيد أطاح القاحلون به
ومدفن لحكايات وأصداء (١٠)

يكشف الشاعر أجود مجبل في السياق الشعري حالة من الأنكسار والضياع والتوتر الذي أصطحبه من خلال توظيفه الدوال اللغوية في التراكيب الشعرية مجسدا للماء والريح طعما منزاحا فيهما إلى قرائن ليست لهما، ليحرك ذهن المتلقي ويحفزه لتلقي نصه بدهشة إبداعية، باثا فيه تمردا نفسيا، فالشاعر أجود مجبل يبني نصه على مفارقة لغوية وهي الصيرورة، وإن (الريح والماء) كما نعرف كلاهما بدون طعم ولا رائحة وهذا يحيلنا إلى دلالات رمزية وهي فقدان الشاعر لمعنى الحياة، فأصبح للدم فيه عمرا وللوقت أشلاء، فيتمرد أجود مجبل على ذاته من خلال قوله (أنا المقيم على حلم /أنا الرائي)، أما في قوله (بي حزن عيد أطاح

القاحلون به)، يشير الشاعر هنا إلى إننا باقون من أجل العراق، كي نراه شامخا، كما كان عظيما منذ القدم، نلاحظ هنا إن الشاعر يربط الإدخار مع مصير الوطن، فلم يستطيع أن يجمع منه سوى (طعم الريح والماء)، وهي أعلى درجات التقشف، إذ كانت غاية الشاعر من جمعهما لتحقيق حلم في داخله شغله لعقود من الزمن، أين ما ذهب يحمله في دمه، ويجري كجريان دجلة والفرات في عروقه، ((الشاعر يتحدث عن الطقوس الحياتية عبر حلمية شعرية تشكل متنفسا وسط صور من التضادات لتحقيق لحظته الشعرية من خلال الذاكرة المكتظة بالهواجس الدلالية، إذ إن تجسيد الصور الشعرية يتطلب براعة وتأمل في أنتقاء المفردة وإنسجامها والتركيب الجملي ومن ثم أرتباطها في سياقات التشكيل البياني واللغوي لتحقيق غايات جمالية وإبداعية في عملية الخلق الشعري))[١١].

ويستمر الشاعر في بث ظواهر التمرد النفسي في القصيدة نفسها إذ يقول :

هم الذين أستفاقوا ذات أغنية

مملوءة بالجنوبيين

والماء

ليسألوا الطين

عن أسرار هيبته

وينفقوا شمسهم

في كل ظلماء

لم يَملكوا

غير ظل داخن

وفم قاد المواويل

من سجن لرمضاء(١٢)

جسد الشاعر أجود مجبل في هذا النص التمرد بأبهى صوره ، من خلال الدوال أو التراكيب (هم الذين أستفاقوا ذات أغنية)، أي هم أستفاقوا على أغنية أناس من الجنوب، إذ يحمل النص هنا إحالة مكانية بالجنوب وناسه الطيبين، الذين أخذت منهم الحروب كل مأخذ، وأصبحوا كأنما كبش فداء للسلاطين، والغناء الجنوبي الذي يحمل طابع الحزن النابع من بيئتهم الحزينة، وقد أشار الشاعر إلى الجنوب وذلك في ضوء توظيفه للأغاني الحزينة ، ولظاهرة التمرد عند أجود أثر نفسي في تفجير الطاقة الإيحائية.

ورصد الشاعر ملامح التمرد النفسي في قصيدته (باب وراء الصيف) التي يقول فيها:

مدي يديك الغيمتين إلى معناي

وإقترحي شيئا على الأفق

وإطلقي صوتك البري

في جسدي

كي تنقذي الطين من تاريخة النزق

فقلت لي :

إن حزن الريح

وبيتنا خلف أكداس من الغسق

لا ظل للوقت حتى نستريح به

ولا طريق لنا إلا لمفترق(١٢)

يبدأ النص بسلسلة من التنقلات التعبيرية في التشكيل اللغوي للشاعر أجود مجبل من خلال الصور التشبيهية عكس فيها الجانب النفسي من خلال تمرده على الذات المبعثرة، ففي قوله (مدي يديك الغيمتين)، أراد الشاعر من حبيبته المفترضة أن تمد يديها أو جناحيها لترفرف على وجوده القلق، ويمكن أن نعد الحبيبه هي المكان أو هي الوطن الذي يلتجأ إلية الشاعر، فهي ترفع عنه أثقال الهموم والضياع، إذ وجد فيها متنفسا له لكنها لم تكن كما أراد بل زادت من عتمته، إذ بدأ السياق النصي بهمسة النداء المتلهفة ومناجاة الروح المعشوقة، صاحبة المعنى الدقيق، وجاء التأكيد بضرورة اقتراح الفكرة، ومن بعدها تأتي مرحلة التنفيذ بدعوة إلى أطلاق شرارة الصوت العذب الذي يعشق الأرض، وفي قوله (كي تنقذي الطين من تأريخه النزق)، فيه إشارة إلى شد العزيمة لإنقاذ كرامة الإنسان، وتعويضه عن خسائره السابقة، إذ لابد من التغني على أرض الوطن بين الأهل والأحبة، بعيدا عن المنفى، وهذا يتطلب أن تكون أشرعة العبور إلى الأرض بيضاء بلون الحلم الفواح بعبير الشمس، وهمس الأشجار[١٣].

ويستمر الشاعر في الاسترسال والحديث عن تمرد الذات فهو يقول في قصيدته ((مرثية الجسر))

يا أيها الممتد بين ظهيرتين

حملت أتربتي وجئت إلى غيابك

حيث لا أحد هنا غير الحديد

يمد أشرطة من الفوضى،

ويمعن في أغتصابك

كنت وحدي

إذ تدحرجت الجهات شريدة

وإنساحت اللحظات

تحت دخان من عبروا لقبرك،

فاتكأت على جدار أينعت فيه الشراسة[١٤]

يخاطب الشاعر في هذا النص الجسر المحطم ، الجسر الذي كان ممتدا بين طرفي المدينة، الجسر الذي يحمل أنا الشاعر وذكرياته وطفولته، وكل الأحداث الجميلة، فمع لحظة تحطيمه أنتهى كل شي وذهب، فكل الصور التي رسمها الشاعر في مخليته مسحت، وهو واقف يتأمل لحظة غروب الشمس وجريان الماء، فكل الذكريات التي عاشها الشاعر أجود واللحظات التي قضاها على الجسر توحي بأبيات شعر لمخيلته، فهو يذكر ضحكات أصدقائه على ذلك الجسر فمنهم من هاجروا البلاد ومنهم من غادروا الدنيا، فكم من عشاق مروا من هنا ، كنت وحدي وأنا اراك حزينا، وقد قصد الشاعر هنا الجسر المحطم الذي كان ملهمه لكل صور الشعر الجميلة، وقد أحببتك كثيرا و كنت أنتظر المساء لكي التقيك فهو موعدنا، لقاء الحبيب بحبيبته، وقد أنشد الشاعر هذه القصيدة وهو يتوجع فيها على جسر (سوق الشيوخ) الذي حطمته الطائرات إذ نراه يعبر عن حزنه من خلال حرف النداء (يا)،إذ هدف الشاعر من هذا الحزن والتحسر هو حمل المتلقي على الإحساس بالحسرة عند المتكلم ومشاركته للعواطف فالمتكلم أفصح عن مكنونة الداخلي من خلال اسلوب النداء، إذ حمل الخطاب بعدا نفسيا عظيما عند المخاطب وعلل الشاعر أجود مجبل ذلك بأن الأسلوب هو الذي يخلق حالة من الوعي والإدراك قبل القيام بأي فعل[١٥].

ويكمن التمرد النفسي عند الشاعر اجود مجبل من خلال قصيدة (مرثية الجسر) التي يقول فيها :

سألم صوتك فأنتظرني

عند زاوية

تراودها النهارات الفسيحة،

سوف أشطر خيبتي ضفتين

تحترفان عشقك كالبداهة،

كالتعاويذ القديمة،

حين تسترخي ممزقة عليك

هذا فمي مدن تحاصرها المياه

وتلك أسئلتي بغربتها تحج إليك[١٦]

يخاطب الشاعر أجود مجبل هنا الجسر الذي تصادقه النوارس وتنساب تحته المياه العذبة، فهي كلها صارت حطاما كنفس الشاعر أجود، بسبب إقتراف البشر من القسوة، قسوة الطائرات وهي تدمر كل شيء جميل وقسوة المجتمع كلها تصب في قناة واحدة وهي روح الشاعر، لكن الجميل في روح الشاعر هو أنه لا يستسلم بل سيظل ينتظر الجسر عند زاوية تراودها النهارات الفسيحة، وهو الضوء الذي يحارب القتامة في نفسه، ((فالتشبيه له القدرة على بناء الخيال التصويري إذ توفرت له مواده المكونة لعناصره، ونوعية الأداة المستعملة مع ما تنماز به من طرافة مثيرة، ودرجة من الإلحاح على أقامة التخييل، فالمماثلات الدلالية التي احتضنها النص صنعت صورا تشبيهية أقتضاها الفعل الدال على المشابهة (تحترفان)، وقد قام أجود مجبل بتشبيه العشق بشيئيين مختلفين ومبتعدين عن بعضهما البعض وهما البداهة /والتعاويذ القديمة))[١٧].

ويوظف الشاعر أجود مجبل نماذج أخرى للتمرد النفسي في قصيدته (آخر الماء) التي يقول فيها :

قال الفرات

ودمع الأرض يملؤه

يا دجلة القلب،

كل الأغنيات لنا

حبيبتي،

والنعاس العذب محتفل

سنلتقي فوق حلم

يشبه الوطنا[١٨]

تتجلى عبر هذا المقطع الشعري طبيعة الذات الشاردة وهو يصف مشاعره وأحاسيسه وما يعتمل في دواخلها الباطنية تجاه نفسه المثخنة بالحزن، بوصفه رجلا ينتظر أن يتحول النهر الذي يجري ماؤه دموعا إلى واقع أفضل فيه سعادة وأمل، فأجود هنا رمز لنفسه بالفرات، وهو يخاطب دجلة الحبيبة ويعدها بأن القادم سيتحول من دموع إلى أغنيات وتكون حصرا لسعادتنا ومتعتنا، ومن ثم يحاول الشاعر بعدها أن يهرب من واقع أستراتيجي نفسي تعويضي وهو النعاس الذي ينتهي بالحلم، الحلم الذي يهيئ الجو للألتقاء والتخلص من كل الأعباء المحزنة والعناق، في النص تمرد ذات متمركز في قوله (والنعاس العذب محتفل)، وقوله (سنلتقي فوق حلم يشبه الوطنا)، إذ يتمرد الشاعر أجود هنا على الواقع ويحاول أن يصنع منه عالما جديدا له.

ومن الشواهد الشعرية على التمرد النفسي عند الشاعر أجود مجبل قصيدته (تفاقمات بحار) التي يقول فيها :

لدي بحر بكى غرقاه

لي سفن

ميناؤها دمعة تحتج في طفل

أحرض اللوتس البحري

أتركه لكي يجرب يوما

نكهة القتل

وأسأل البحر عن جدوى الوصول

وعن بحارة فتنتهم أذرع الهول[١٩]

أعتمد الشاعر أجود مجبل في خطابه الشعري على الدلالة المتجسدة في البحر للتعبير عن الحنين والحب الذي يكنه لكل من ركب قلبه، فالشاعر أجود أنما يبكي فقده من عانق قلبه شغفا وحبا، فرمزية البحر تتساوق مع معاني الروح السامية المعبأه بالمروءة ، والصفات الإنسانية الأخرى، لذلك هو يصف البحر بأنه يبكي على الغرقى الذين يهلكون بمائه، فهو يبكيهم لكونه يعشق من يركب قلبه حبا، وفي قوله (لي سفن) يسرح الشاعر أجود في خياله واصفا ذلك الخيال بالسفن، وإن الدمع والبكاء لا يرسو إلا في مرافئ حزينة وإن عيون الأطفال تبكي دون هوادة.

ويبث الشاعر أجود مجبل أبرز الملامح على تمرد الذات وذلك من خلال قصيدته (فيروز وحجر آخر) التي يقول فيها :

كرائحة الطلع،

إذ تتنامى خيوط إشتهاء

كأشرعة السفن المرمرية، حيث تنير فراق المرافئ

رغبتها في البكاء

تعنين لي إزدحام الينابيع

سرب لحون تمرد ذات صباح [٢٠]

اتكأ الشاعر أجود مجبل في تجسيد التمرد النفسي على الضياع والأنكسار ، فالذات العاشقة والمتلوعة تكشف عن توجه الشاعر أو تعلقه بتلك المشاهد إذ يملي عليها المكان تذكرها، إذ إن المرفأ لروح الشاعر هي حبيبته التي تمسد على كتف قلبه وتمسح عنه همومه وغربته، وقد برز التمرد النفسي في قوله (كأشرعه السفن المرمرية)

ومن يتأمل قصائد أجود مجبل ذات الطابع النفسي يجد فيها العديد من المشاهد التي تحمل تمردا نفسيا وذلك ما نلحظه في قصيدته (ما تبقى من ذاكرة الهدهد) التي يقول فيها :

لا تفنى أصابعهم

وكلما نضبت أقدامهم بدأوا

فيا عراقية العينين،

في جسدي كل الصحارى

وإنت الماء والكلأ

كم كنت معناي في المنفى

وكنت أنا نهرا شريدا

إلى معناه يلتجئ[٢١]

نلحظ الشاعر أجود مجبل هنا في حالة عدم الأستقرار فتاره نراه يذكر كلمات القوة والعزيمة والإصرار، وعدم الإنكسار عندما يذكر (لا يفنى، نضبت)، وهي دلالة على الديمومة وعدم الرضوخ والأستسلام، إذ يعطي الشاعر وصفا جميلا لمدينته فيصفها بتلك المرأة ذات العينين الجميلتين التي تشاركه الحزن عندما يذكر جسمه الذي يحمل الصحارى وهي صورة معكوسة لأن الصحاري في المدن لا على الأجساد وهي رمزية الفقر والضياع والخراب، ويتداخل الشاعر أجود بالصورة الشعرية التي ترمز للتمرد عندما أنتقل بالوصف للنهر الذي يضيع مجراه ويصبح شريدا حاله كحال الشاعر الذي أصبح بلا مستقر ولا مأوى، وإن الحركة التي توفرها الأفعال أعطت لهذه القصيدة الحالة الدورانية، إذ جسد الشاعر صورة ترحاله إلى منفى بعيدا عن ذاته، ولكنه خيل إليه ذاتا أخرى وهي الحبيبة التي وظفها في خطابه الشعري الذاتي إذ لا يمكن فصلها عن الوطن أطلاقا.

ويوظف الشاعر أجود مجبل التمرد النفسي من خلال إبراز ملامح الذات وذلك ما نراه في قصيدته (ليليات) التي يقول فيها :

أخي أيها الليل الذي كم صحبته

إلى العالم السفلي والنور ظامئ

مشينا طريق الكشف لم تلتفت لنا خطانا

ولم يعبأ بنا فيه عابئ

هنالك للحزن المعمر

فتحت كهوفا

وفكت للنحيب مخابئ [٢٢]

يحاول الشاعر أجود مجبل أن ينفلت من قيد الحزن والبحث عن شرفات النور ولكن لا محيص له من الرجوع للإرتباك والخيبات،، إذ يجعل من الظلام وحلكة الليل صديقا له، فنلاحظ إنه مغترب مع الليل وممتد في الغياب إلى العالم السفلي، فالشاعر في جدلية العلاقة بين ثنائية النور والظلام (الليل)، إذ وظف فاعلية الفضاء الزماني ولعب دوره الجوهري في النص ، إذ أبقى الزمن مفتوحا مع أفق الحزن والألم راسما من خلال تراكيب الأفعال صورا للشعور بالقلق والضياع، وقد عني الشاعر بعد ذلك بالمكين الذي أستقرت روحه فيه ببودقة الأغتراب.

ويستمر الشاعر أجود مجبل في طرحه لقصائده الشعرية فيقول في القصيدة نفسها :

أكتبيني حضورا مؤكدا

فإني على الفقد المؤزر ناشئ

ومنا في هذا الطين مذ أفتتاحة

لذا أنا من طيني لك الآن لاجئ[٢٣]

يكمل الشاعر أجود مجبل ما أبتدأ به في مناجاة ذاته مخاطبا عوالم غير محسوسة لدى من حوله فقد لا يعيش كل الناس تجربة الفرد الذي يعلن العصيان على ذاته، فالتمرد من شأنه تغيير كل موازين الأتزان لدى الشخص السوي، أكتبيني حضورا مؤكدا... فإني على الفقد المؤزر ناشئ، في هذا المقطع

والذي سبقه نجد تناقض واضح بين أعتزاز الشاعر بذاته من خلال بناء شخصيته وجلادتها من تجارب الحياة المريرة (فإني على الفقد المؤزر ناشئ)، وبين الاعتزاز بالذات (ومنافي هذا الطين مذ أفتتاحه /لذا أنا من طيني لك الآن لاجئ) فالأعتزاز بالذات عند مقاومتها تحول هذا المقطع إلى صوره مشهدية مرتبطة بالمقطع السابق (أخي أيها الليل الذي كم صحبته).

ويجسد الشاعر أجود مجبل صور للتمرد النفسي في قصيدته (السماء الأخيرة لطائر التم) التي يقول فيها :

يا أقحوان القنوط،

كن لغتي ليعرف النحل خيبة العسل

سأنتقي من خطاي أبعدها

وأستفز البحار بالوشل

لعل تلويحة

ستجمعنا على ضريح هناك

أو طلل

يا أنت، يا نحن،

يا غموض فم مغرورق بالغياب،

مرتحل[٢٤]

يبدأ الشاعر أجود مجبل خطابه بالنداء، ياأيها اليأس الذي تمرد والذي أصبح زهرا لأقصى الأمل واقصى الحياة الجميلة، فهو يشير إشارة بليغة ويعبر تعبيرا مجازيا إلا إن اليأس فيه يكون يانعا ومثمرا، فهو عندما يقول (يا أقحوان القنوط) فهو يقصد بالقنوط هنا أنه واصل مرحلة العطر، أي أن أجمل أنواع العطور اختارها الشاعر إلى أتعس وأبعد أنواع اليأس،(كن لغتي) أي كن أنت لغتي كي

يعرف المجتمع الذي يعبر فيه عن النحل لأن تشبيه خيبة النحل كخيبة الشاعر ، ليكون سفير اللقاء وسمه الخطاب، فهو يذهب إلى الأبعد لكي يكون آخر الواصلين في كلامه، وهو شعور بالقلق والضياع والخيبة، هو يريد أن يغادر هذه الحالة السلبية وإن يصير إلى الأستقرار الروحي ولملمه شتاته، فهو يستعمل النقائض أي الشئ ونقيضه في قوله (سأنتقي من خطاي أبعدها /أستفز البحار بالوشل) فهو تعبير عن الإنقراض والخيبة، فكأنما أنت تجعل الوشل والبحر في كفه الميزان، إذ وظف التمرد في قوله (لعل تلويحة ستجمعنا،،،،،، إلى آخر النص)، فهو يقول إن هذا اليأس هو الذي يشعل الأمل في صحراء أو في حاضنة أو في مكان عظيم، فهو يتحدث هنا عن أشياء طافيه في قوله (يالنت يا نحن)،يتحدث الشاعر هنا عن الأنا الذات والمجتمع وكأن اليأس الذي يتكلم عنه ليس يأسا ذاتيا، وإنما يأسا معتما.

ومن مظاهر التمرد الذاتي للشاعر اجود مجبل قصيدته التي نسبها إلى قوارض الشعر في كتارا بعنوان (خيانات أنيقة) التي يقول فيها :

وشاعر الماء

كان منهمكا بأنهر

جرحت زوارقها

أسراب بط تطير من يده

وفوق أوراقه يلاحقها

يصفف المفردات

في شغف

لعل حلما به يطابقها

كم أقنع الورد

إن يعود إلى مدينة

تختفي حدائقها

وكم دعا موجه

لتتبعه

لعل طفلا غدا يصادفها [٢٥]

نلحظ من خلال النص أن الشاعر أجود مجبل يبتدأ بدلالة رمزية فلسفية عميقة يطلقها الشاعر على شخصية رمزية أدبية وهي شاعر الماء ويضفي على النص دلالة رمزية متنوعة، قد تكون تلك الدلالة أراد الشاعر بها التأمل بسر الوجود (الماء) راسما له يد وهذه اليد فقدت الأمن والأمان حتى طارت منه الطيور الأليفة وهجرته وهي دلالة على هجرة الناس من بلدانها وحتى زوارقها وأعاد لها ركاب جرحت هي الأخرى بعد هجر الإنسان والطيور لذلك البحر، إذ يكملها الشاعر بصورة مماثلة أخرى عندما ذكر الورود الميتة والذابلة التي هجرت الحديقة هي الأخرى وباتت قاحلة، وهي دلالة على عدم وجود من يسقيها ويعتني بها غير إن الشاعر يضع لنا رمزية الطفل المفعم بالحياة وينطلق مع وجود الأشياء الجميلة كالورود والحدائق ولكن لا وجود لها حتى قال (لعل طفلا غدا يصادفها) وتبدأ حياة جديدة، ونلحظ هنا تمرد الشاعر على مفهوم الحياة وفقدانه لكل ما هو جميل لغياب الأمن وذهاب الأحباب.

ويوظف الشاعر أجود مجبل نماذج أخرى للتمرد النفسي في قصيدته (دروس في التلعثم) التي يقول فيها :

يا بدء المسير إلى غيابي،

ها قد اعترفت سجائر قاتليك،

وهذه الأقفال واقفة على الفرح المجفف،

حدقي في وجهي المرتد عن

دبق التراكم،

وأمنحيني في عقوق الريح أسما

لا تفسره الشقوق،

لكي أضمد ضحكة عبرت عليها

الشاحنات

على طريق لا تشير إلى بهائك،

إنني أهديك شكا واثقا،

أو هدهدا يأتي بلا نبأ يقين

حين يدخر العراء(٢٦)

جاءت لغة التمرد في هذه القصيدة مجسدة لمستويات الذهن وطبقات الوعي عند الشاعر مع ذاته، فالأبعاد الذهنية للأعباء المتراكمة قد أسهمت في رسم صورة حية لواقع الشاعر وتداعياته وأنعكاس ذلك على نفسية الشاعر، لأن الأوصاف التي وردت في النص كشفت عمق العلاقة بين الذات وعالمها المحيط، ثم يقول (لكي أضمد ضحكة عبرت عليها الشاحنات، والشاحنات هنا رمزية للأعباء المتراكمة، ثم يتناص مع قصة سليمان في آخر بيتين من النص، فالقصيدة فيها كلام غير مباشر يدركه المخاطب نتيجة المران، واعني به المران الذي أعتاده المتكلم من المخاطب، فالنص معبأ عاطفيا تجد فيه روح الشاعر كأنها مخنوقة ، فهو يتمرد على وجوده وكيانه المتزن ويثور على صمته ليخرق المتلقي الذي لم ينتبه إلى الهم الذي بداخله حتى أقحم ذاته في التمرد الذي لم يكن صفه له، وقد أحال الشاعر إيجاز الشطرين الشعريين في قوله تعالى ((وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد ام

كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين))[٢٧]

الخاتمة

من اهم ما توصل اليه البحث هو ان التمرد الذاتي يوجد بوصفه أسلوبا بلاغيا وليس غرضا من الأغراض الشعرية عند أجود مجبل لكونه ورد في قصائده بصورة ضمنية في طيات الأبيات وفي أجزاء القصيدة ولم يكن مستقلا بوصفه فكرة رئيسة في دواوينه فضلا عن قصائده، وإن الحالة النفسية التي أصابت الشاعر أبان الأحداث العامة التي مر بها بلد الشاعر أفرزت نوعا جديدا من التمرد الا وهو التمرد النفسي.

الهوامش

[١] ينظر :مفهوم الذات – مقاربة نفسية، (بن صغير كريمة)، المشرف أ. د. بو مدين سليمان، مجلة حوليات قالمة للعلوم الاجتماعية والنفسية، مجلة محكمة مفهرسة، ع١٣، ٢٠١٥ م، جامعة قالمة، ٥٠.

[٢] ينظر :الذات والآخر في ديوان مقبل بن تميم، زينب حيدر عبد الأمير، المشرف ا. د. حمادي خلف حمود الركابي، كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ذي قار، ٢٠٢٢ م، ٢:(رسالة ماجستير).

[٣] ينظر :مشكلات الذات وسلوكها التكيفي، د. فكري لطيف متولي، ٢٠١٤ م، ٢.

[٤] محاضرات في علم النفس – النمو، د. يحياوي أحمد وآخرون، جامعة وهران للعلوم والتكنولوجيا – محمد بو ضياف، معهد التربية البدنية والرياضية، ٢٠١٩ م ٨٢.

[٥] ينظر : مفهوم الذات – مقاربة نفسية، ٣١.

[٦] ينظر :صراع الذات في شعر السياب – مقاربة نفسية (رنة تتمزق نموذجا)، الشتيوي وآخرون، مجلة البحث العلمي في الأدب، مج ١٦، ع٤، قسم اللغة العربية، كلية البنات – جامعة عين شمس، ٢٠١٥ م، ٢٢.

[٧] ينظر :تحقيق الذات وتطويرها تنمية بشرية، محمد التميمي، جامعة الخليل – كلية العلوم السياسية، ٢٠٢٢ م، ١٣.

[٨] ينظر :مفهوم الذات – مقاربة نفسية، ٣٥.

[٩] ينظر : سيكولوجية مفهوم الذات – دراسة في صورة الذات – قيمة الذات – الذات المثالية د. سول ماكلاود، شبكة العلوم النفسية العربية، ١.

(١٠) ديوان ياأبي ايها الماء، ، ص ١٣.

(١١) تداعيات الفكرة في (يا أبي أيُّها الماء)، علوان السلمان، مدونة كتابات في الميزان، ٢٠١٣ م،https://www . Kitabat. Infor subjectphp? Id=29496.

(١٢) ديوان كأس لإنقراض ساعي البريد ، ص٥.

(١٣) ينظر :جماليات التشكيل الدلالي في شعر أجود مجبل، دراسة فنية، علاء فاروق يوسف عبيد، المشرف أ. د. محمد عبدالله سليمان الصديق، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم – كلية الدراسات العليا (دائرة اللغة العربية)، سنة ٢٠٢٢م، ٩٠ : (أطروحة دكتوراة).

(١٤) ديوان رحلة الولد السومري، ، ص٢٦.

(١٥) ينظر :شعر أجود مجبل – دراسة في ضوء نظرية أفعال الكلام ، حسين عمار جاسم، المشرف أ. د. مؤيد مهدي فيصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ذي قار، سنة ٢٠٢١ م، ص ١٠٦. (رسالة ماجستير).

(١٦) ديوان رحلة الولد السومري ، ص٢٨.

(١٧) البنى الأسلوبية في شعر اجود مجبل، ٥٦.

(١٨) ديوان يا أبي ايها الماء، ١١.

(١٩) ديوان ياأبي ايها الماء، ٢٥ .

(٢٠) ديوان رحلة الولد السومري، ٣٤.

(٢١) ديوان محتشد بالوطن القليل، ١.

(٢٢) ديوان ياأبي ايها الماء، ٤٢.

(٢٣) المصدر السابق، ٤٣.

(٢٤) ديوان محتشد بالوطن القليل ٤.

(٢٥) ديوان ياأبي ايها الماء، ١٥.

(٢٦) المصدر السابق، ٢٠.

(٢٧) سورة النمل، آية (٢٠،٢١،٢٢).

المصادر

أولاً: الدواوين

١ – ديوان رحلة الولد السومري، أجود مجبل، صدر عن أتحاد الكتاب العرب في دمشق عام ٢٠٠٠ م.

٢- ديوان كأس لأنقراض ساعي البريد، صدر عن دار الشباب للطباعة والنشر عام ٢٠١٩ م
٣- ديوان محتشد بالوطن القليل، صدر عن دار نخيل في بغداد عام ٢٠٠٩ م
٤- ديوان يا ابي أيها الماء، أجود مجبل، صدر عن دار النورس في بغداد عام ٢٠١٢ م.

ثانياً: الكتب:

١- تحقيق الذات وتطويرها تنمية بشرية، محمد التميمي، جامعة الخليل – كلية العلوم السياسية، ٢٠٢٢ م.
٢- سيكولوجية مفهوم الذات – دراسة في صورة الذات – قيمة الذات – الذات المثالية د. سول ماكلاود، شبكة العلوم النفسية العربية.
٣- محاضرات في علم النفس – النمو، د. يحياوي أحمد وآخرون، جامعة وهران للعلوم والتكنولوجيا – محمد بو ضياف، معهد التربية البدنية والرياضية، ٢٠١٩ م .
٤- مشكلات الذات وسلوكها التكيفي، د. فكري لطيف متولي، ٢٠١٤ م.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح

١- البنى الاسلوبية في شعر اجود مجبل، محسن عبد مرعيد العويسي، المشرف. أ. د. فاروق محمود الحبوبي – كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة كربلاء، ٢٠١٥ م (رسالة ماجستير)
٢- جماليات التشكيل الدلالي في شعر أجود مجبل، دراسة فنية، علاء فاروق يوسف عبيد، المشرف أ. د. محمد عبدالله سليمان الصديق، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم – كلية الدراسات العليا (دائرة اللغة العربية)، سنة ٢٠٢٢م، ٩٠ : (أطروحة دكتوراه).
٣- الذات والآخر في ديوان مقبل بن تميم، زينب حيدر عبد الأمير، المشرف ا. د. حمادي خلف حمود الركابي، كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ذي قار، ٢٠٢٢ م، ٢:(رسالة ماجستير).
٤- شعر أجود مجبل – دراسة في ضوء نظرية أفعال الكلام ، حسين عمار جاسم، المشرف أ. د. مؤيد مهدي فيصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ذي قار، سنة ٢٠٢١ م، (رسالة ماجستير).

رابعاً: المجلات:

١-صراع الذات في شعر السياب – مقاربة نفسية (رنة تتمزق نموذجا)، الشتيوي وآخرون، مجلة البحث العلمي في الأدب، مج ١٦، ع٤، قسم اللغة العربية، كلية البنات – جامعة عين شمس، ٢٠١٥ م.

٢-مفهوم الذات – مقاربة نفسية، (بن صغير كريمة)، المشرف أ. د. بو مدين سليمان، مجلة حوليات قالمة للعلوم الاجتماعية والنفسية، مجلة محكمة مفهرسة، ع١٣، ٢٠١٥ م، جامعة قالمة، ٥٠.

خامساً: المصادر الالكترونية

١- تداعيات الفكرة في (يا أبي أيُّها الماء)، علوان السلمان، مدونة كتابات في الميزان، ٢٠١٣م، https://www. Kitabat. Infor subjectphp? Id=29496 .